

الأمثل في تفسير كتاب المنزل

[497] زفافها ، لتفتدي بها زوجها ، فلمّا وقعت عينا النبي على تلك القلادة وتذكر
تضحية خديجة وجهادها ، وتجسّدت مواقفها أمام عينيه ، قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : "رحم
الله خديجة ، فهذه قلادة جعلتها خديجة في جهاز بنتي زينب. ووفقاً لبعض الروايات فإنّه
امتنع عن قبول القلادة احتراماً لخديجة وإكراماً ، واستجار المسلمين في إرجاع القلادة ،
فأذنوا له أن يرجع القلادة إلى زينب ، ثمّ أطلق (1) النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) سراح
أبي العاص ، شريطة أن يرسل ابنته زينب - التي كانت قد تزوجت من أبي العاص قبل الإسلام -
إلى المدينة ، فوافق أبو العاص على هذا الشرط ووفى به بعدئذ (2) . وعلى أية حال ، فإنّ
الآية محل البحث أجازت للمسلمين التصرف في غنائم المعركة ، والمبلغ الذي يأخذونه فداءً
من الأسير ، فقالت : (فكلوا ممّا غنمتم حلالاً طيباً) . ويمكن أن تكون هذه الجملة ذات معنى
واسع يشمل حتى الغنائم الأخرى غير الفداء . ثمّ تأمرهم الآية بالتقوى فتقول : (واتقوا
الله) . وهذا إشارة إلى أنّ جواز أخذ مثل هذه الغنائم لا ينبغي أن يجعل هدف المجاهدين في
المعركة هو جمع الغنائم وأن يأسروا العدوّ حتى يأخذوا فداءه . وإذا كان في القلوب مثل
هذه النيّات السيئة فعليهم أن يطهروا قلوبهم منها ، ويعدّهم الله بالعفو عمّا مضى فتقول
الآية : (إنّ الله غفور رحيم) . _____ 1 - ورد في الكامل لابن الأثير ،
ج 2 ، ص 134 أنّّه "فلمّا رآها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) رقّ لها رقة شديدة
وقال : "إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها؟ وتردوا عليها الذي لها فافعلوا" ، فأطلقوا لها
أسيرها وردوا القلادة. 2 - تفسير الميزان ، ج 9 ، ص 141.